

شيخ زاده: حياته وآثاره —

شيخ زاده: حياته وآثاره العلمية:

حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي (حاشية على أنوار التويل للبيضاوي)

* الحافظ عبدالرحيم

* منقاد أحمد فيضي**

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان والصلاة والسلام على رسوله الكريم الذي ختم به النبوة.

اسمه:

عبي الدين هو محمد بن مصلح الدين القوجوي، والقوجة كما أفادني أحد العارفين باللغة التركية، تعني الشيء الكثير، والشيخ الكبير المسن، والعالم الكبير أيضا. ولعل هذا الأخير هو الأقرب إلى شارحنا شيخ زاده، لأنه كان معلما متصدرا للإقراء، وهذا الرأي يفسر لنا أيضا كثرة ورود هذه النسبة في أسماء العلماء الأتراك في تلك الحقبة. وقد أجمعت المصادر جميعا على تسميته.

التعريف بشيخ زاده بإيجاز:

إن شيخ زاده، شأنه شأن كل العلماء المتأخرين، غير العرب خاصة، لم يلق العناية التي يستحقها في كتب التراجم، فلم يذكر التاريخ مولده، ولم يشر إلى عمره، ولا إلى الأشياء الخاصة في حياته العلمية. مفسر، فقيه، فرضي مشارك في بعض العلوم. كان مدرسا بالقسطنطينية، تولى قضاء مصر وسافر إلى الحجاز (1).

كان عالما بالتفسير والأصول وسائر العلوم الشرعية والعقلية وأخذ العلم عن والده وكان والده من مشاهير العلماء ببلاد الروم.

أساتذته:

من أهم أساتذة شيخ زاده:

1. المولى عبيد الدين باماسية.
2. المولى حسن جلبي بن محمد شاه الفناري .
3. المولى الفاضل بهاء الدين.

حياته ونشأته:

وولي التدريس والولايات حتى صار قاضي العسكر بولاية أناضولي ثم استعفى منه فأعفى وأعطى إحدى المدارس الثمان ثم صار قاضيا بمصر فأقام بها سنة ثم حج وعاد إلى القسطنطينية (2).

* أستاذ اللغة العربية، جامعة بهاء الدين زكريا ملتان، باكستان

** باحث الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة بهاء الدين زكريا ملتان، باكستان

شيخ زاده: حياته وآثاره

اشتغل وحصل، ثم خدم المولى فضل الدين، ثم درس بمدرسة خواجه خير الدين بالقسطنطينية، ثم أثر العزلة فترك التدريس، وتقاعد بخمسة عشر عثمانياً، وكان يستكثرها على نفسه ويقول: يكفيني منها عشرة، ولازم بيته وأقبل على العلم والعبادة، وكان متواضعاً يحب أهل الصلاح، وكان يشتري حوائجه من السوق بنفسه مع رغبة الناس في خدمته، فلا يرضى إلا بقضائهم بنفسه تواضعاً، وهضماً للنفس، وكان يروي التفسير في مسجده فيجتمع إليه أهل البلد، ويسمعون كلامه ويتبركون بأنفاسه، وانتفع به كثيرون، وكان يقول: إذا شككت في آية من القرآن أتوجه إلى الله تعالى فيتسع صدري حتى يصير قدر الدنيا، ويطلع به قمران لا أدري هما أي شيء، ثم يظهر نور فيكون دليلاً على اللوح المحفوظ فاستخرج منه معنى الآية، ومن أخذ عنه صاحب الشقائق قال: وهو من جملة من افتخرت به، وما اخترت منصب القضاء إلا برصية منه. (3)

كان رحمه الله عارفاً بالله وصفاته وكان زاهداً متورعاً وحكى عنه بعض أصحابه أنه أرسل معه جملاً من البر إلى الطاحون قال وقدمني الناس على أنفسهم رعاية لجانب الشيخ فلما ذهبت إليه قال أسرع في الجيء وما كان السبب في ذلك فحكيت له القصة فسكت وذهب إلى جانب من ساحة داره فحفر هناك حفرة وقال ساعدني على ذلك فساعدته حتى رضي ثم أتى بالدقيق فدفعه في الحفرة فسألته عن ذلك فقال هذا الدقيق لا يجوز أكله ودفعته خوفاً من أن يأكله كلابي. كما حكى عنه أنه أحضر من يختن ابنه فختنه وأحضر قصعة من الزبيب فجعله وليمة له. وحكى عنه أيضاً أنه قطع لأولاده عبادة وكانت زوجته في الحمام فلما جاءت ورأت الثياب فقالت عبادة يليق بالذكور. وأما هذه البنت فينبغي لها الثوب من الكرباس فقال الشيخ أخرت لها هذا الثوب إلى وقت تزويجها.

وحكى ابنه المولى محيي الدين محمد رحمه الله أنه قال ذهبت مع والدي إلى الحجاز للحج وكنت نحو خمس عشرة سنة أو أكثر. قال فلما نزلنا دمشق اعتكف والدي في جامع بني أمية وكان لا ينأى الليلة بطولها وارتاض هناك رياضة عظيمة فقال لي يوماً غلبت علي نفسي وشوشت خاطري من جهة القمل قال فأخرجت قميصه فوجدته مملوءاً من القمل بحيث لم أقدر على قتلها. وإنما ألقيتها بيدي على الأرض قال ثم ذهبنا إلى مكة الشريفة ولما وصلنا إليها شرفها الله تعالى أوصاني إلى بعض أصحابه وأعطاه مقدارا من الدراهم ليصرف في حوائجي قال فغاب أبي مقدار شهرين ولم نعرف حاله ثم حضر وما عرفت بي في أول نظره لما حصل له من البهجة في وجهه المبارك كأن الأنوار تتلألأ من وجهه. وحكى أيضاً أنه كان الوزراء يزورونه وهو يؤخهم تويخاً عظيماً ويذكر ما سمعه من مظالمهم قال وكانوا يعتذرون إليه ويتوبون عنده من الظلم ويقبلون يده (4).

قرأ على علماء عصره ثم وصل إلى خدمة المولى الفاضل ابن فضل الدين ثم صار مدرساً بمدرسة خواجه خير الدين بمدينة قسطنطينية وتزوج بنت الشيخ العارف بالله الشيخ محيي الدين القوجوي ثم غلب عليه داعية الفراغ والعزلة وترك التدريس وعين له كل يوم خمسة عشر درهما بطريق التقاعد وكان رحمه الله تعالى يستكثر ذلك ويقول يكفيني عشرة دراهم ولازم بيته واشتغل بالعلم الشريف والعبادة. وكان متواضعاً متخشعاً مرضي السيرة محمود الطريقة وكان محباً لأهل الصلاح وكان يشتري من السوق حوائجه بنفسه ويحملها إلى بيته بنفسه مع رغبة الناس في خدمته وهو لا يرضى إلا أن يباشره تواضعاً لله تعالى وهضماً للنفس.

رواية التفسير وكيفيته :

وكان يروي التفسير في مسجده ويجتمع إليه أهل البلد ويستمعون كلامه ويتبركون بأنفاسه وانتفع به كثيرون . قال رحمه الله تعالى إذا أشكلت على آية من آيات القرآن العظيم أتوجه إلى الله تعالى فيتسع صدري حتى يكون قدر الدنيا ويطلع فيه قمران لا أدري أحما أي شيء ثم يظهر نور فيكون دليلا إلى اللوح المحفوظ فاستخرج منه معنى الآية قال رحمه الله تعالى إذا عملت بالعزيمة لا أريد النوم إلا وأنا راقد في الجنة وإذا عملت بالرخصة لا تحصل لي هذه الحال وكانت له محبة عظيمة في هذا العبد الحقير .

وصية منصب القضاء:

وأنة من جملة ما اخترت به وما اخترت منصب القضاء إلا بوصية منه وكان قد أوصاني به . وحكى لي أن واحدا من أصدقائه كان قاضيا ثم ترك القضاء مدة ثم دخل القضاء ثانيا وكان رجلا صالحا صدوقا فسألته عن سبب دخوله ثانيا فقال كان لي عند قضائي مناسبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أراد في المنام في كل أسبوع مرة فتركت القضاء ليحصل لي زيادة تقرب إليه على ما كان في الأول فبعد ترك القضاء ما رأيت كما رأيت في حال القضاء فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إني تركت القضاء ليزيد قربي منكم فلم يقع كما رجوت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المناسبة بيني وبينك أزيد عند القضاء من مناسبتك عند الترك لأنك عند القضاء تشتغل بإصلاح نفسك وإصلاح أمتي وعند الترك لا تشتغل إلا بإصلاح نفسك ومتى زدت في الإصلاح زدت تقربا مني قال المولى المحرم أنا صدقت كلامه وكان الرجل صدوقا فأوصيك أن تختار القضاء وتصلح نفسك وغمرك هذا كلامه قدس سره (5) .

مدرس في المدارس المختلفة:

ثم صار مدرسا بمدرسة ميغلغرة ثم صار مدرسا بمدرسة إبراهيم باشا بمدينة قسطنطينية وهو أول مدرس بها ثم صار مدرسا بمدرسة السلطان اورخان الغازي ببلدة ازنيق ثم صار مدرسا بدار الحديث بأدرنه ثم صار مدرسا بمدرسة الوزير مصطفى باشا بمدينة قسطنطينية وهو أول مدرس بها أيضا ثم صار مدرسا بإحدى المدارس الثمان ثم عين له السلطان بايزيد خان كل يوم ثمانين درهما بطريق التقاعد ثم جعله السلطان سليم خان قاضيا بقسطنطينية ثم جعله قاضيا بالعسكر المنصور بولاية اناطولي ثم استعفى عن قضاء العسكر وتركه فأعطاه السلطان سليم خان إحدى المدارس الثمان وعين له كل يوم مائة وعشرين درهما ثم ترك التدريس أيضا وبقي في بيته زمنا ثم جعل قاضيا بمصر المحروسة وأقام هناك سنة ثم حج وأتى مدينة قسطنطينية وعين له كل يوم مائة وثلاثون درهما (6) .

مكاته بين الأوساط العلمية:

مع أن المصادر لم تذكر شيئا عن حياته العلمية إلا أن الظاهر من ترجمته أن حياته كانت مليئة بالعلم، فهو مدرس، درس وحصل، وهو بعد ذلك متفرغ للعلم الشريف والكتابة.

وإن لم يصلنا الكثير عن تفصيلات حياته العلمية، إلا أن مؤلفاته التي وصلتنا تبين مكاته، فهو من تصدى

لكتب صعبة فشرحها وقرها للناس في الفنون المختلفة.

وأجمعت المصادر التاريخية، وكتب الفهارس أن حاشيته على تفسير البيضاوي من أجل كتبه، بل من أجل

حواشي أنوار التنزيل. فشيخ زاده واحد من العلماء المشاركين، والمدرسين العاملين بعلمهم. وأما أخلاقه، وتواضعه،

وزهده فإلا شواهد عدل على علمه، وعمله بهذا العلم.

شيخ زاده: حياته وآثاره —

وكتبه من بعد تشهد بهذه المكانة، ويضاف إليها اليوم كتاب جديد لم تلتفت إليه كتب الفهارس قديماً:
(شرح قواعد الإعراب)).

كان رحمه الله تعالى عالماً بالعلوم العربية كلها وعالماً بالتفسير والحديث والأصول والفروع والعلوم العقلية وكان صاحب البيان فصيح اللسان واسع التقرير كامل التحرير وكان له إنشاء بليغ في العربية وصف شبيه في بعض رسائله وقال نزل الثلج على هامتي حتى تقوس بها قامتي ولا يخفى إن هذه استعارة بليغة حسنة مع ترشيح بليغ مع ما فيه من عذوبة اللفظ وسلاسته وحسن السبك روح الله تعالى روحه (7).

ونعكى عنه أنه قال إذا أشكلت عليه آية من آيات كتاب الله تعالى توجه إلى الله تعالى فيتسع صدره حتى يكون قدر الدنيا فيطلع فيه قمران لا يدرى أى شيء هما ثم يظهر نور فيكون دليلاً إلى اللوح المحفوظ فيستخرج منه معنى الآية هذا ما حكاه عنه صاحب الشقائق النعمانية. وحكى عنه أنه قال إذا عملت اليوم بالعزيمة لا أريد اليوم إلا وأنا في الجنة وإذا عملت بالرخصة لا يحصل لي هذا الحال. كما حكى عنه صاحب الشقائق أنه تولى القضاء وكان يرى رسول الله في كل أسبوع مرة فترك القضاء طمعا في كثرة رؤيته في المنام لرسول الله فلم يرد بعد تركه للقضاء فدخل في القضاء ثانياً فرآه فقال له يا رسول الله إني تركت القضاء ليزيد قربي منكم فلم يقع كما رجوت فقال له رسول الله إن المناسبة بيني وبينك عند القضاء أزيد من المناسبة عند الترك لأنك عند القضاء تشتغل بإصلاح نفسك وإصلاح أمتي وعند الترك لا تشتغل إلا بإصلاح نفسك ومتى زدت في الإصلاح زدت تقرباً مني (8).

وفاته:

وقد اختلف آراء العلماء في وفاته وهي كالتالي:

قال النجم الغزي: مات في سنة خمسين وتسعمائة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة أمين (9).

قال الألباني: وتوفي بالأسنان سنة 931 إحدى وثلاثين وتسعمائة (10).

قال حاجي خليفة: مات في سنة 951، إحدى وخمسين وتسعمائة (11).

قال محمود توفيق النجم الغزي: مات في هذه السنة قاله في الكواكب سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة (12).

قال ابن الغزي: توفي سنة 950. وقيل: مات في سنة خمسين وتسعمائة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة أمين (13).

قال صاحب الشقائق النعمانية: مات في سنة خمسين وتسعمائة. مات في سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة (14).

قال الشوكاني: مات في سنة 951، إحدى وخمسين وتسعمائة (15).

قال السيوطي وابن منظور الأفرقي: وقد كانت وفاته في سنة إحدى وخمسين وتسعمائة (16).

وقد كانت وفاته في سنة إحدى وخمسين وتسعمائة (17).

آثاره العلمية:

لشيخ زاده مصنفات عديدة، متنوعة الاتجاهات، في الفقه واللغة والشعر والفرائض والتفسير، وهذا ماسأف

عنده فهو يعمل أكثر من دلالة على غزارة علمه، ومشاركه العلمية.

والمتتبع هذه المصنفات يلحظ أنها جميعها تنتمي إلى كتب الأبحاث العلمية، والسبب في ذلك ينبع من قيادة دقة التدريس، وهذه المهنة تقتضي من صاحبها أن يعطي من كل علم طرفاً، خاصة في تلك الحقبة التي لم يكن الاختصاص ذا قيمة فيها، بل كانت المشاركة في العلوم هي الدالة على طول باع المدرس، وحسن تعليمه..

1- حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي (حاشية على أنوار التزليل للبيضاوي).

- 2- شرح الوقاية في مسائل الهداية في فروع الفقه الحنفي .
- 3- شرح الفرائض السراجية.
- 4- شرح المفتاح في المعاني والبيان للسكاكي.
- 5- شرح البردة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم (خ).
- 6- حاشية على مشارق الأنوار للصاغاني (خ) في اسطنبول .
- 7- تعليقه على شرح الهداية لابن مكتوم
- 8- شرح قواعد الإعراب لابن هشام (18) :

أستعرض هنا من آثاره العلمية من ناحية أهميتها وشهرتها التي نالت بين الأوساط العلمية وأخص بالذكر أن معظمها تدرس في الجامعات والمدارس العربية الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية كمقررات دراسية، ومن أشهرها:

حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي

(حاشية على أنوار التبريل للبيضاوي):

وهي أربعة مجلدات، وقيل في ست مجلدات . قال الحاجي خليفة :وهي أعظم الحواشي.

أنوار التبريل وأسرار التأويل للقاضي الإمام العلامة ناصر الدين أبي سعيد :عبد الله بن عمر البيضاوي الشافعي 685. هذا المصنف في مواضع عدة من كتابه، وذكر أن هذا الكتاب "حاشية شيخ زاده" هو أفضل حواشي "أنوار التبريل" من بين الحواشي الكثيرة التي كتبت على "تفسير البيضاوي" وفي ذلك دلالة على مكانة "الشارح" في عالم التفسير والتصنيف...

وفي الوقت نفسه أشار حاجي خليفة، وغيره من مؤرخي الكتب العربية إلى أن هذا الكتاب "حاشية على أنوار التبريل" أفضل مصنفاته، وعند العودة إلى مصنف شيخ زاده هذا ما شدني إليه فالكتاب على قدر كبير من الأهمية، وفيه الكثير من العلم الدال على المشاركة وقد طبع هذا الكتاب في أوائل هذا القرن، وعرفه الباحثون، وقدره حق قدره، ووضع في مكانته اللائقة بين كتب التفسير وحواشيه.

ولعل هذا الكتاب هو السبب الأول في شهرة شيخ زاده، ورفعته إلى مرتبة الشراح الكبار، في الوقت الذي كثر فيه كتب الحواشي.

وقد ورد ذكره في كتب التراجم والأعلام مثل: (معجم المطبوعات العربية لسركيس .ومعجم الأعلام للزركلي .ومعجم المؤلفين لكحالة).

هذا كتاب عظيم الشأن غني عن البيان لخص فيه من (الكشاف) ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان. ثم إن هذا الكتاب رزق من عند الله - سبحانه وتعالى - بحسن القبول عند جمهور الأفاضل والفحول فعكفوا عليه بالدرس والتحشية فمنهم: من علق تعليقه على سورة منه ومنهم :من حشى تحشية تامة ومنهم :من كتب على بعض مواضع منه أما الحاشية التامة عليه فكثيرة منها :

أ. حاشية: القوجوي العالم الفاضل محيي الدين :محمد بن الشيخ مصلح الدين :مصطفى القوجوي المتوفى سنة إحدى وخمسين وتسع مائة وهي أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفع وأسهلها عبارة كتبها أولاً :

شيخ زاده: حياته وأثاره —

بنوعتصرفيه وزيادة عليه فانتشرقات انالنسخ تانوتلاعيهماأيديال نساخحتي كادأن لايفرق بينهما ولايخفى أنهما من أعز الحواشي وأكثرها قيمة واعتبار اودلك لبركة زهد و صلاحه .

ب. حاشية القاضي: زكريا بن محمد الأنصاري الفاضل القاضي : زكريا بن محمد الأنصاري المصري المتوفى : سنة عشر وتسعمائة وهيفي مجلد سماها: (فتح الجليلييا تخفياً أنوار التريل).

ج. حاشية: السيوطي الشيخ جلال الدين: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى: سنة إحدى عشرة وتسعمائة وهي في مجلد أيضاً (19) .

ولكن حاشية شيخ زاده أعظم من الحواشي الأخرى لأنها كبيرة وضخيمة وهي أعظمها فائدة وأكثرها نفعاً وأسهلها عبارة .

مذهبه النحوي:

جرت العادة أن يحدد الدارس مذهب مؤلف كتابه الذي يدرسه، وذلك من خلال استقراء النص، وتفحص آراء المؤلف في الكتاب المدروس، وتحديد اتجاه هذه الآراء.

وغالباً ما يقتصر هذا التحديد على مدرستي البصرة والكوفة، وهما المدرستان الشهيرتان في النحو العربي، وهناك من يحاول إثبات وجود مدارس أخرى كالبغدادية والشامية والأندلسية.

لكن المتابع لهذه المدارس يجد أنها تدور في فلك المدرستين الأساسيتين في النحو العربي؛ البصرية والكوفية. ولن أتبع في هذا الفصل دراسة نشوء المدرستين وأعلامهما فذلك أمر تاريخي بحث لا مسوغ له هنا، وكل ما يهمنا هو أن ندرس الكتاب خاصة، ولتلك الأبحاث التاريخية مجالها الأخرى.

إن ما سأفعله هو تحديد مذهب شارح ((قواعد الإعراب)) شيخ زاده وهذا أمر لا بد منه، وعليه سيقوم فيما بعد تحديد موقفه من الاحتجاج والاستشهاد الذي هو أس الخلاف وأساسه بين أتباع هاتين المدرستين الجليلتين. أن خلافات كثيرة قائمة بين أصحاب هاتين المدرستين في القياس والسمع وغيرهما، ومن خلال استقراء آراء المؤلف في هذه الأمور يتم تحديد هوية المؤلف النحوية.

شيخ زاده إلى أي من المدرستين ينتمي أو على الأصح نقول نحو أي مدرسة نحو شيخ زاده؟ إن النص الذي ندرسه في ((شرح قواعد الإعراب)) فيحدد لنا مذهب الشارح من خلال استقراءه، وتحديد مصادره، فالكتب التي تؤدي إليها واحتج بها تبين مذهبه.

فأكثر كتب شيخ زاده من كتب البصرية، وهو يحتج بها مواقف (20).

مثل كتب سيويه، والميرد، والأخفش.

أما عندما يورد كتب الكوفيين، فإنه يورد معززة لقاعدة حسب أصول البصرية، أو لنقص ما جاءت به. ومنهجه يظهر لنا مذهبه (21).

شواهد:

فشيخ زاده يضيّق على نفسه فيالشواهد، شأنه في ذلك شأن أصحاب المدرسة البصرية، فشواهد تدرج على الشكل التالي:

1- القرآن الكريم.

2- الشعر العربي.

3- الأقوال.

4- الحديث الشريف.

فهو لم يأخذ من الأحاديث الشريفة إلا بأقل القليل مع أنه متأخر، وعدد من المتأخرين توسعوا في الاستشهاد في الحديث. (22) كابن مالكاً استقرأ النص فإنه يبين ميله إلى المذهب البصري بجلاء ووضوح، فهو يذكر القاعدة النحوية حسب المذهب البصري، دون إشارة إلى الخلاف، إن لم يكن هناك من خلاف، ويعود ليقول في مكان آخر: أما الكوفيون فيقولون كذا...

وكذلك يورد مذهب سيويه حجة، ويورد بعد ذلك وأي الكسائي والفراء وغيرهما مرجحاً رأي سيويه، وهكذا... ومن عباراته الدالة على مذهبه:

يقول الشلويين أحد شيوخ الكوفيين: 50.

أما عند الكوفيين والأخفش منا: 76.

خلافاً للكوفيين: 163.

الجمهور = البصرية: 114 ، 122 ، 150.

فعندما حدد أن الشلويين من شيوخ الكوفيين، فقد دفع مذهبه عنه على غير عادته في الرسالة، وكذلك العبارات التالية. وفي الرسالة عموماً يطلق عبارة النحاة والجمهور على البصرية.

أما في قواعد الاحتجاج، فإننا نلمس ذلك من خلال موقفه من السماع والقياس.

فهو يعتمد السماع: 111 ، 122 ، 128 ، 152 نقلاً عن الارتشاف.

وكذلك القياس: على غير القياس: 142 .

لا يقاس على الشاذ: 110.

والشذوذ يورد بعضه، ولا يقيس عليه:

فضل يفض: تداخل الأبواب التصريفية شاذ. 100.

دخول حتى الناصبة على المضمر يجوز المرد، وهو شاذ. 105.

حذف حرف العطف مع ذكر المعطوف فشاذ نادر: 158 .

وهو لا يقيس على اللغات كلها، وإنما يذكر تلك اللغة، دون أن يقيس عليها وهذا لا يعني أن (شيخ زاده) أخذ بالمدرسة البصرية وحسب، بل إننا نجد شأنه في ذلك شأن النحاة المتأخرين، يأخذ من المدرسة الأخرى من مبدأ التوفيق بين المدرستين. والسبب في ذلك يكمن في أن الشارح مفسر وفقهه قبل أن يكتب في النحو وشرحه، وهذه الطائفة من العلماء لها موقف في الاحتجاج والحكم عليه.

والمفسرون وإن لم يأخذوا بالقرائات الشاذة في التعبد، إلا أنهم يأخذون بها للاستشهاد النحوي، لأن مادة القرائات تشكل عندهم مادة كبيرة من الشواهد التي تسمو إلى أعلى درجات الفصاحة.

فلاحتجاج عندهم يبدأ بإجماع أهل البصرة والكوفة، ثم بما انفردت به مدرسة البصرة، وما هو مقنع من آراء الكوفيين.

أما القياس على الشاذ فإنه يذكره ولا يأخذ به كما في نصب الفعل بعد لم عند بعض العرب. وإذا تعارض

القياس والسماع، أخذ بالسماع غير الشاذ كمذهب البصريين، والفصاحة عنده كما عند أغلب علماء اللغة:

شيخ زاده: حياته وآثاره —

فقرش أولا، وقيس، وميم، وأسد، وهذيل..

وقد اتفق مع النحاة بأن البصريين أصح قياسا، لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع، ولا يقيسون على الشاذ، والكوفيون أوسع رواية في ذلك (23).

تفصيل الآراء في القياس والسماع، والشاذ، والفصاحة، والاحتجاج في "الاقتراح" للسيوطي 52:، 128، 122، 55، 66.

الاستشهاد في الشرح:

حدد النحاة الاستشهاد في اللغة القرآن، والقراءات، وفيها خلاف، الحديث الشريف، الشعر، النثر.

القرآن والقراءات القرآنية:

يحدد السيوطي في "الاقتراح" كيفية الاحتجاج بالقرآن وقراءاته، رابطا ذلك الاحتجاج بالسماع والقياس فقال: "أما القرآن فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواترا أم آحادا أم شاذ، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسا معروفا، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه (24)".

ومن المعاصرين يقف الأستاذ سعيد الأفغاني من قضية القراءات موقف السيوطي، فقال في هذا المجال: "لم يتوفر لنص ما توفر للقرآن الكريم من تواتر رواياته، وعناية العلماء بضبطها وتخريجها متنا وسندا، وتدوينها بالمشافهة عن أفواه العلماء الأتباع الفصحاء والأئمة من التابعين عن الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهو النص العربي الصحيح المجمع على تلاوته بالطريق التي وصل إلينا بها في الأداء والحركات والسكنات، ولم تعن أمة بنص ما اعتنى المسلمون بقرآنهم، وعلى هذا يكون هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به (25)".

أما فيما يخص القراءات فقد قال الأفغاني وهو يرى عزوف النحاة عن الاستشهاد بما:

"وبعد، فقراءات القرآن جميعها حجة في العربية متواترها وآحادها وشاذها، وأكبر عيب يوجه إلى النحاة عدم استيعابهم إياها، وإضاعتهم على أنفسهم ونحوهم مئات من الشواهد المحتج بها، ولو فعلوا لكانت قواعدهم أشد إحكاما (26)".

إن ما يهمنا هو موقف شيخ زاده من هذا الخلاف، فهو يستشهد بالقرآن استشهادا كاملا في (220) موضعا، يأخذ بالقراءات المتواترة وقراءات الآحاد والقراءات الشاذة أيضا، وأما المتواترة فهي مبثوثة في الكتاب كاملا، أما الآحاد والشاذة فهي في مواضع محددة ب(14) موضعا في الرسالة، لكن الالفت للنظر أن الشارح لم يشير إلى كون هذه القراءة شاذة أم لا، بل ذهب شيخ زاده إلى الاستشهاد بقراءات جميعها في تفسير أبي حيان الأندلسي "البحر المحيط" الذي يشير إلى شذوذها، بينما لم يفعل ذلك شارح الرسالة.

ومن ذلك يتضح مذهب الشارح، فهو يحتج بالقرآن وقراءاته جميعا دون أي حرج كما اعتاد النحاة من قبل حيث اقتصروا على المتواترة كسيبويه وغيره من أئمة النحو قديما.

الحديث الشريف:

في الاستشهاد بالحديث الشريف خلاف بين النحاة، لكن الإجماع كان على عدم الاستشهاد إلا بما صح نقله عن نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم لفظا.

شيخ زاده: حياته وآثاره —

"انقسم اللغويون فيما يروي من الأحاديث فريقين: فريقا غلب على ظنه أنها لفظه عليه السلام، فأجاز الاحتجاج بها، وفريقا غلب على ظنه أنها مروية بالمعنى لا باللفظ، وإذا لا يجوز الاحتجاج بها (27)." .

بين السيوطي أسباب عدم الاحتجاج به، مع رأي المدرستين بقوله:

"أما كلامه صلى الله عليه وسلم فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروي، وذلك نادر جدا، إنما يوجد في الأحاديث القصار على قلة أيضا. فإن غالب الأحاديث مروية بالمعنى، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها، فروها بما أدت إليه عبارتهم، فزادوا ونقصوا وقدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظا بأخرى..

البصريون والكوفيون لم يستدلوا بالحدِيث النبوي كثيرا، وإن فعله بعض المتأخرين كابن مالك (28)." .
وقد ألع إلى رأي ابن مالك ومن تبعه في الاستشهاد بالحدِيث، لكنه لم يأخذه، وليس ذلك إلا من باب الخوف والحشية والحيلة.

الشعر:

أجمع النحاة على الاستشهاد بالشعر الموثوق المعروف قائله، وأسقطوا من شواهدهم الشعر غير معروف القائل. وحددوا ذلك بزمان ومكان محددين، لكن ذلك لا يعني أنهم لم يخرموا هذه القاعدة، ففي سيبويه عدد غير قليل من الشواهد بمجهولة القائل، وأخرى مروية بروايات متعددة، وثالثة متنازعة النسبة.

والشارح في شرحه تبع المنهج نفسه في الاستشهاد، فأخذ بهذه القواعد لكن بغير صرامة ونرى ذلك من خلال هذا الجدول:

عدد الشواهد الشعرية 29 شاهدا.

عدد الشواهد معروفة القائل 18 شاهدا.

عدد الشواهد غير معروفة القائل 7 شواهد.

عدد الشواهد متنازعة النسبة 4 شواهد.

فالشارح بقي على المنهج الذي جاءه من السابقين في استشهاده ورؤية نسبة الشواهد، ونماشيها مع القاعدة تؤكد تمسكه الشديد بالقواعد التي وصلته، وربما كان السبب الرئيسي في ذلك أنه لم يصل مرتبة الاجتهاد التي تسمح له بأن يحتفظ طريقا خاصة كما فعل ابن مالك، مع أنه يعرف ذلك ويدركه.

النثر:

استشهد النحاة بالنثر الذي قاله الفصحاء، ورواه الثقات. (29)

والشارح اكتفى بهذا الشرط، وبقي ملازما له في رسالته، وقد اكتفى في شرحه بالاستشهاد

ب: قولين لسيدنا عمر رضي الله عنه (30).

لسيدنا علي كرم الله وجهه (31)

ثلاثة أمثال (32).

ذكر هذ الشواهد، وهي من أقوال الفصحاء، ورواها الثقات في كتبهم وقد روي مجموعة أخرى من الأقوال النثرية التي تداولها في كتبهم من سيبويه إلى يومنا، من مثل: قام زيد.. وغيرها من كلام النحاة الذي صيغ من أجل تعزيز قاعدة، أو تأكيد حكم نحوي، لم أف مع هذ الأقوال لعدم الضرورة، ولأن كما شيخ زاده كما أشرت كان ناقلا لأراء النحاة، جامعا لها، مرددا لعبارةهم، فشيخ زاده من أتباع المذهب البصري في الأخذ بأصول النحو، من

شيخ زاده: حياته وآثاره

سماح وقياس واحتجاج، وكذلك من أتباعه في الاستشهاد، لكنه توسع في ذلك قليلاً، في القراءات خاصة أخذنا بمذهب ابن جني في الاستشهاد بالقراءات القرآنية مهما كانت نوعيتها؛ متواترة، أم آحاداً، أم شاذة. وذلك المذهب ما يسوغه عند القدماء والمحدثين، من ابن جني إلى أبي حيان الذي أخذ بما عنده في "البحر المحيط" إلى المرادي الذي اعتد بذلك في "توضيح المقاصد والمسالك" وقد أخذ ذلك عن أبي حيان بإشارة إليه، وبغير إشارة. وكذلك شارحنا المتأثر بالمرادي وأبي حيان معاً، وقد ظهر واضحاً في كتابه: "حاشية على أنوار التنزيل" و"شرح قواعد الإعراب".

وبذلك يتوضح لنا أنه كان من أتباع الأصول النحوية، لم يشأ أن يخرج عن إجماع النحاة، وإن وفق بين المذاهب أحياناً، في كثير من الدقة والأمانة العلمية في عزو الآراء إلى أصحابها.

منهج ومصادر لحاشية شيخ زاده:

هي أعظم الحواشي فائدة وأكثرها نفعا وأسهلها عبارة تبعها أولاً على سبيل الإيضاح والبيان للمبتدئ في ثمان مجلدات ثم استأنفها ثانياً بنوع تصرف فيه وزيادة عليه فانتشر هاتان النسختان وتلاعب بهما أيدي النساخ حتى كاد أن لا يفرق بينهما ولبعض الفضول منتخب تلك الحاشية ولا يخفى أنها من أعز الحواشي وأكثرها قيمة واعتباراً وذلك ليركة زهده وصلاحه⁽³³⁾.

وأهم مصادر لتفسير شيخ زاده مما يلي:

الكشاف للزخشري، وتفسير أبي السعود لأبي السعود، البحر المحيط لأبو حيان، تفسير الطبري لطبري، وزاد المسير لابن الجوزي، والنكت والعيون لما ورد، تفسير الكبير لإمام الرازي وغيرها.

خلاصة البحث:

كان محمد بن مصطفى القوجوي المعروف به شيخ زاده عالماً بالتفسير والأصول وسائر الشريعة والعقلية وكان عارفاً بالله وصفاته وكان زاهداً متورعاً وكان صاحب البيان فصيح اللسان واسع التقرير كامل التحرير وكان له إنشاء بليغ في العربية وأخذ العلم عن والده وكان والده من مشاهير علماء بلاد الروم ثم قرأ على المولى عبيد المدرس باماسية ثم على المولى حسن جلبي بن محمد شاه الفناري. واشتهر بكتابه التفسير: "حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البضاوي" كما نالت آثاره العلمية من ناحية أهميتها وشهرتها مكانة بارزة بين الأوساط العلمية وأخص بالذكر أن معظمها تدرس في الجامعات والمدارس العربية الإسلامية في شبه القارة الهندية الباكستانية كمقررات دراسية. وقد تعتبر آثاره العلمية أهم الكتب في القرن العاشر الهجري في العالم الإسلامي.

هوامش

1. البيان سر كيس :معجم المطبوعات العربية 1166/2، يوسف المتوفى 1933م منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي. رضا كحالة: معجم المؤلفين: 32/12، عمر رضا كحالة المتوفى 1408 هـ بيروت دار إحياء التراث العربي بيروت، الباباني :هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: 69/2. إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي المتوفى 1399 هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت حليان، 14 نوفمبر 2010م.
2. محمود توفيق محمد سعد: شذرات الذهب "دراسة في البلاغة القرآنية: 182/4، أستاذ البلاغة والتقدويريس القسم في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف شبين الكوم الطبعة الأولى 1422 هـ، ابن الغزي :الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة 8/1، ابن الغزي :محمد بن محمد محمد المتوفى 1061 هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت.
3. ابن الغزي :الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة 1/235، محمود توفيق محمد سعد: شذرات الذهب 286/، الشقائق النعمانية والعقد المنظوم 1/245
4. الشقائق النعمانية، العقد المنظوم 151/1، 152
5. الشقائق النعمانية، العقد المنظوم 1/245
6. الشقائق النعمانية، العقد المنظوم 182/1، الشوكاني: البدر الطالع. 2/262:
7. الشقائق النعمانية، العقد المنظوم 182/1
8. الشوكاني: محمد بن علي المتوفى 1250 هـ "البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع" 262/2، دار المعرفة بيروت.
9. ابن الغزي :الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة. 1/235:
10. الباباني :هدية العارفين. 2/69 :
11. حاجي خليفة :كشف الظنون، مصطفي بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي المتوفى 1067 هـ "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون 1689/2"، دار الكتب العلمية بيروت 1992م .
12. محمود توفيق محمد سعد: شذرات الذهب 182/4، ابن الغزي :الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، 8/1.
13. ابن الغزي: محمد بن محمد محمد المتوفى 1061 هـ "ديوان الإسلام" 73/1، تحقيق: سيد كسرويه بن، دار صادر بيروت 1990م.
14. الشقائق النعمانية، العقد المنظوم 182/1، 1/245
15. الشوكاني :البدر الطالع. 2/262:
16. السيوطي: جلال الدين عبدالرحمان المتوفى 911 هـ "طبقات المفسرين" 1/382، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة القاهرة 1396 هـ، الطبعة الأولى.
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفرنجي المصري المتوفى 711 هـ "لسان العرب" 1/382، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.
17. ابن هشام :عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن يوسف بن هشام المصري المتوفى 76 هـ "رسالة المباحث المرضية" 1/382، تحقيق: د. مازن المبارك، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى، 1987م.
18. الزركلي :خير الدين الزركلي المتوفى 1396 هـ "الأعلام" 7/99، دار العلم للملايين بيروت 1085 هـ، الباباني :هدية العارفين 2/73، رضا كحالة :معجم المؤلفين. 12/32 :

شيخ زاده: حياته وآثاره

19. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمان المتوفى 911هـ "الإقتراح في علم أصول النحو" 189/1، تحقيق: الدكتور محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 1426هـ 2006 م، حاحي خليفة: كشف الظنون، 1/186...188.
20. في كشف "الكتب الواردة في المتن" تجد ذلك فانما
21. في كشف "الشواهد" ووازن بين أنواعها وكثرتها
22. الأفغاني: سعيد الأفغاني "في أصول النحو" ص 47، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية 1414هـ. ص 47.
23. "السيوطي: جلال الدين عبد الرحمان المتوفى 911هـ "الإقتراح في علم أصول النحو" ص 52، تحقيق: الدكتور محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 1426هـ 2006 م.
24. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمان المتوفى 911هـ "الإقتراح في علم أصول النحو" ص 36، تحقيق: الدكتور محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 1426هـ 2006 م.
25. الأفغاني: في أصول النحو، ص 28.
26. الأفغاني: في أصول النحو، ص 45.
27. الأفغاني: في أصول النحو، ص 47.
28. السيوطي: الإقتراح في علم أصول النحو، ص 40.
29. السيوطي: الإقتراح في علم أصول النحو، ص 55.
30. السيوطي: الإقتراح في علم أصول النحو، ص 94-134.
31. السيوطي: الإقتراح في علم أصول النحو، ص 43-137.
32. السيوطي: الإقتراح في علم أصول النحو، ص 9، 25، 160.
33. حاحي خليفة: كشف الظنون 1/188